الفصل الثالث:

مصادر المعرفة في القرآن الكريم

يعد موضوع مصادر المعرفة حجر البناء لأي نسق معرفي، إذ منه تُستقى الأدلة والمعارف، وله اتصال مباشر في فكر الأمة الإسلامية وتوجهها الحضاريّ، من أجل إعادة بناء ما هدم، وترميم ما اهترأ، وإبداع ما يساير العصر انطلاقاً من الأصول الإسلاميّة؛ نحو الريادة وفق منهج ربانيّ.

غير أنّ مفهوم المصدر يشوبه بعض الغموض في تحديده، وفيه آراء عدّة وتصوّرات مختلفة.

أولاً: مفهوم المصدر المعرفيّ

إذا تتبعنا طرح مصطلح "مصادر المعرفة" في الكثير من البحوث؛ نجد اختلافاً بل اضطراباً في استعماله اللغويّ، وتداخلاً مع مفاهيم أخرى، ممّا يوقع في إشكالات فكريّة للمدقّق، وتصوّرات خاطئة للمطالع، ومن هنا ينبغي أن نفصّل في البحث بين الأصل والمصدر، فالأصل هو الخالق لها ولأسبابها، والمصدر هو علّة حدوثها، فالله تعالى أبدع الكون على نظام متناسق، ولا يكون التناسق من غير ثبات، والثبات لبُّ القانون، والقوانين ممّا يسّر الله للإنسان إدراكها؛ بل أرشده للبحث عنها، وهي من العالم المباشر الظاهر، وبنى الشرع الأحكام بين الناس على الظاهر، فيكون التطرّق إلى الأسباب المشهودة من العالم المدرك؛ لا إلى الأسباب المغيبة التي تلي عالم الشهادة؛ فالإيمان بالله تعالى يقود إلى تلمس سنن الله في خلقه، ولا تبديل

لسنّته تعالى في الآفاق والأنفس، فما وعد جلّ وعلا بأن يُري عباده آياته في الآفاق وفي أنفسهم؛ إلا وقد مكّنهم من رؤيتها، ولا تستقيم الرؤية من غير فهم العلل والأسباب، وكلٌّ يدرك شيئاً من ذلك بقدر ما أوتي من علم وقدرة وإرادة.

١ - المفهوم الدلالي:

يشكّل موضوع المصادر أهميّة خاصّة بالنسبة إلى التربية (المعرفيّة) الإسلاميّة، لأنّه يتّصل ببناء فكر الأمّة، وتوجّهها الحضاريّ من أجل إعادة بنائها أفراداً وجماعات، لانطلاقها من الجذور الأصليّة والاتّجاهات والقيم التي كان لها كبير الأثر في تاريخنا.

إن مصطلح "مصادر المعرفة" في المفهوم الفلسفيّ؛ ليس هو المراد بطرائقها عندنا في تصوّرنا الدقيق، ذلك أنّ مصدر الشيء أصله، وأصل المعرفة عندنا ربانيّ ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ [العلق: ٥]. وإن استعمالنا لأدوات المعرفة من عقل وحسّ إنّما هو بإقدار الله عزّ وجلّ وتمكينه، وإذ تتّبعنا مصطلح "مصدر المعرفة" في كثير من البحوث نجد اختلافاً بل اضطراباً في استعماله، حيث جعله بعض الباحثين وسيلة الوصول إلى المعرفة، وقد تبيّن أنّها الأداة وهي الحواس والقلب. وجعله آخرون منبع المعرفة وثمرته من الأصل، فقد تكوّنت مصطلحات وهي: "أداة المعرفة"؛ وهي الجوارح من حواس وقلب، و"محلّ الإدراك" وهو القلب، و"محلّ الإحساس" وهي الحواس، و"القوّة المدركة" الكامنة بالمحلّ، و"فعل القوّة المدركة" وهو نشاطها وعمليّاتها الإدراكيّة، و"الهيئة" وهي حصول الإدراك

داخل النفس المدركة. ويطلق على المعلومات الكامنة في النفس (التراكم المعرفيّ): عقلاً، وعلى عمليّة استرجاعها والاستنباط منها: عقلاً، وعمليّة تحصيلها أو عدمها: عقلاً. فالإشكال هو: هل المصدر هو المُحَصِّل للمعرفة، أم عمليّة التحصيل، أم المُحَصَّل منه؟

والحاصل: أنّ العلوم تكتسب بواسطة العلوم البدهيّة، وحدوث البدهيّات بتصوّر موضوعاتها ومحمولاتها، وكانت التصوّرات بإعانة الحواس على جزئياتها، فظهر أنّ السبب الأول لحدوث المعارف في العقل هو هذه الحواس. فالحاصل لدينا: نفس خالية من المعارف، وأدوات ناقلة للمعارف، فتتمّ عمليّة النقل بين وسطين، هما العالم الداخليّ (النفس المدركة)؛ والعالم الخارجيّ؛ وهو كل ما خرج عن محلّ الإدراك (القلب)، فلا يكون الاتصال بالعالم الخارجيّ إلا بالحواس، التي تنقل ما يصبح بدهياً إذا تكرر؛ لأنّ صورته وماهيّته لم تتغير؛ فيجزم الذهن بثباته أو نفيه، ويصنع هذا الجزم القانون (قانون العقل)، ويبني لنا تراكم القوانين البدهيّات والمسلّمات؛ وهي العلم الضروريّ الذي نكتسب منه العلوم النظريّة الكسبيّة الحاصلة لاحقاً.

ولا بدّ أن يصدر عن المصدر شيء نحو مُتلقٍ، فإذا قلنا مصدر العلم؛ فسيصدر عنه (معلوم)، نحو متلقٍ له القابليّة على استقباله؛ وهو محلّ العلم (المتعلم)، وحال تمكّنه منه يكون (عالماً به)، فهنا الحواس ناقلة بإجماع العقلاء؛ فلا تكون مصدراً للمعارف لأنّها خالية أصالة منها. فالمصدر هو العالم الخارجي؛ وهو المنبّه والمؤثّر والباعث للصور والأصوات والمؤثّرات التي

تتلقاها وتستقبلها الحواس ثمّ تصل بها إلى مركز الإدراك. ويدخل المثال مادّة أولية إلى القلب "محلّ الإدراك"، وهو كمصنع به نشاطات إدراكيّة عدّة، تتصاعد وتتفاوت من فرد إلى آخر، فكلّ عقل يخرج من تلك المعرفة الأوليّة معارف عدّة حسب قدراته مؤهّلاته. فيكون المصدر الأصلي (العالم الخارجيّ)، والمصدر التابع هو (الحافظة أو الذاكرة)، فيستحضر العقل ما تراكم في الذاكرة من معارف ومعلومات؛ ويبني عليها لينشأ معلومات ومعارف أخرى، بعدها تخزّن هذه المعارف لتكون (مادّة أوليّة) لمعارف وعلوم أخرى بعدها. ومن معاني العقل أنّه قوّة التمييز، وأنّه المعلومات المخزّنة؛ لذا نجد الغزاليّ يقول: "العقل منبع العلم ومطلعه وأساسه" فهذا على اعتباره مرادفاً للقلب؛ وإنّ ما في القلب من علوم يسمّى عقلاً، حيث قال في معاني العقل الأربعة: "قد يطلق ويراد ما بمحلّ الإدراك أي المدرَك (العلوم)."

فالحواس نواقل للمعارف كما بيّن الرازيّ وغيره، ولا بدّ للمستقبل من ناقل ومصدر، ولا بدّ أن يكون الناقل بين أمرين؛ من وإلى، فإذا كان المتلّقي هو القلب (محلّ العلم) أو العقل، و(الناقل) إلى محلّ العلم هو الحواس؛ فالجانب الآخر الذي تتّصل به الحواس لزاماً هو (المصدر) المُتلَقى عنه عبرها. ومصدر المعرفة هو الحاوي لحقيقة الأشياء أو ماهيّتها أو مثالها؛ أي هو الأشياء عينها؛ أي مصدر المعرفة هو (الموضوع المدرَك)؛ فعندنا نفس مدركة، وعمليّة إدراكيّة، وموضوع مدرَك. النفس المدركة هي "محلّ العلم" القلب، والعلميّة الإدراكيّة هي "العقل"، والإدراك حصول العلم، والموضوع المدرَك هو العالم الخارجيّ؛ أو ما في الحافظة والذاكرة ممّا نقل عن

العالم الخارجيّ أصلاً، وتطوّر ونشأت عنه معارف وصور قد لا يكون لها وجود بالعالم الخارجيّ. وإذا رجعنا إلى كتب التفسير والأصول والفقه واللغة نجد أنّ التعامل مع مصطلح "مصدر" بالدَّلالة نفسها التي بَيَّناها؛ حتى عند علماء الكلام حال تصنيفهم للعقل أنّه من مصادر المعرفة وإيرادهم مصطلح "المعرفة العقليّة" على أنه مصدر، يريدون مصدراً تابعاً؛ أي التراكم المعرفيّ بالحافظة.

٢- تصنيف المصادر:

المعرفة في النظام المعرفيّ القرآنيّ لها مصدران متكاملان هما: الوحي (الآيات المتلوّة، وسنة الأنبياء، والرؤيا، والإلهام، والحدس)، والكون (الآيات المخلوقة، الآفاق، الأنفس، أخبار التاريخ والحاضر). وطرائق اكتساب المعرفة من كليهما هي العقل والإحساس، والعقل (قوّة إدراكيّة)، يتوصّل بها إلى المعرفة والعلم من الوحي والكون. ويمثّل الوحي دائرة المعارف الإسلاميّة، أمّا الكون فإنّه يمثّل المعجم والمختبر الذي يحتوي على مفردات هذه الدائرة، وقد أمر الله بالقراءة، وجعل التكليف مناطاً بوجود العقل وبلوغه مرحلة التمييز وتعقّل الخطاب. ولم يعيّن المقروء ليشمل كل ما يقدر عليه الإنسان؛ مع التزام المنهج الربانيّ في توجيه ما يقرؤه، فكان له الكتاب المسطور (الوحي)، والكتاب المنظور (الكون). قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣]. فالرؤية هنا رؤية قلبيّة؛ أي عمليّة إدراكيّة، والآيات لُغَةً هي العلامات الدالّة الواضحة؛ أي هي حقيقة الأشياء، والأشياء هنا هي "الآفاق

والأنفس"، فعلامات الآفاق والأنفس آياتها وحقائقها؛ وهي المعلومات المأخوذة منها، و"التبيّن" هو حصول العلم بالنفس؛ بوصول العلم إلى محلّه القلب، وبلغ العلم هنا درجة اليقين "الحقّ"؛ وهو أعلى من الحقيقة؛ لكونه دوماً الخير والصلاح والصدق.

فمصدر الحق أو مصدر بيانه هو آيات الآفاق والأنفس؛ أي العلم النابع من الكون، فالكون مصدر للمعرفة والعلم الذي يحاجج الله تعالى به عباده. وتتّصل الحواس بجهة واحدة؛ وهي الكون، وتنقل ما تتلقاه إلى العقل ليتبيّن ويستوعب فيميّز الحقّ من الباطل، و"الآيات" هنا هي العلامات الأوضح في الدَّلالة؛ فهي المعلوم الخالي من اللبس والإشكال.

فالوحي خطاب إلهيّ لقوانين العقل وبدهيّاته المفطورة عليها، ولا تصادمه علومه النظريّة. فإن عجز عن فهم حجيّة الوحي، أحيل إلى مرحلة ما قبل البدهيّ وهي الإحساس. ويمثّل الكونُ والوحيُ مصدرين أصليّين للمعرفة، ثمّ يليهما مصادر تابعة هي ناتجة عنهما، مثل (التراكم المعرفيّ)؛ إمّا الداخليّ بالذاكرة، أو الخارجيّ (العلوم المدوّنة والأخبار المتناقلة). فيكون الأول بالتذكّر، والثاني بالتلقين إمّا بالقراءة أو السماع، وأصلهما المصدر الأصليّ.

ويمكن دمج المصادر التابعة ضمن عالم الأنفس، غير أنّ الفصل يكون أجود في بيان الوسائل والطرائق والمصادر؛ إذ إنّ الأمر بالنظر إلى الأنفس هو من جهة دلالتها المعرفيّة والعلميّة بكونها مصدراً؛ أي موضوعاً للدراسة والتأمّل. وفي المصادر التابعة حصيلة معرفيّة متراكمة من المصادر الأصليّة،

لكن لا وجود لها بالمصدرين الأساسين بصورتها بالمصدر التابع، فمن الأمور الناتجة في الذهن ما لا وجود له بالأنفس ولا بالآفاق، كما لا وجود لها بالوحي، وهنا الأنفس بمفهوم الجسم والروح. فالعقل والنفس مشتركان في الدَّلالة على شيء واحد هو اللطيفة المدركة بالإنسان، فيرجع بذلك المصدر العقليّ إلى مصدر الأنفس؛ أي الكون. فقوله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ﴾ [البقرة: ٢٣٥]؛ فالله هو العالم، والمعلوم هو ما في الأنفس من اعتقادات وإرادات؛ أي من إدراكات، فكانت النفس هي الموضوع الذي أخذ منه العلم؛ أي هي مصدر العلم الذي يعلمه الله تعالى، ويحاكم به الناس، وهذا في الآية تحذير بأنّ الله يعلم كما نعلم نحن ما بأنفسنا. وقوله: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [فصلت: ٥٣]؛ قد يكون ما يحصل من علوم داخل النفس، وهي القوانين العقليّة والمبادئ الأوليّة الفطريّة، وهي بذلك حجّة على من وقعت في نفسه بعد تراكم المعرفة به، فعلمه بالدليل، وفهمه لوجه الاستدلال؛ آية بيّنة، مبيّنة له أنّ ما جاء من عند الله حقّ، فيكون ذلك حجّة عليه، وقد يكون الجهل عذراً؛ فكان العلم لكي لا يكون للناس حجّة على الله، فالمصدر المعرفيّ الذي سيرى فيه الإنسان آيات الله هو المعارف الكامنة فيه.

ثانياً: الكون (المخلوقات) مصدراً للمعرفة في القرآن الكريم

يمثّل الكون الموضوع الأكثر ذكراً في القرآن، بالإرشاد إليه لتلقي المعرفة، وإعمال العمليّات الإدراكيّة فيه؛ ليستقي منه ما يهتدي به لصالح المعاش وخير المعاد.

١ - مفهوم الكون مصدراً للمعرفة:

الكون المشهود يجمع بين قسمين، اصطلح سماهما القرآن الكريم بالآفاق والأنفس؛ إذ هما العالم المشاهد الواقع تحت الإحساس، وتصل إليه الحواس، قال تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ [فصلت: ٥٣]. فالكون عالم الشهادة أي هو كل أمر نستطيع أن نتوصّل إلى شهوده بالوسائل الحسيّة، أو هو الوجود الماديّ الواقع تحت الإدراك الحسيّ للإنسان، ومن خصائصه أنّه معقول الذات وقابل للوجود الإنسانيّ إذا توفّرت أسباب الشهود، وكذلك الأمور التي لا نصل إليها بالحسّ من عالم الجنّ والشياطين والجنّة والنار والملائكة هي كذلك أمور محسوسة، لكن لا قدرة للحواس على الوصول إليها الآن، لوجود المانع والحاجز. لكنّنا نصل إليها في الآخرة، بل حتى في الدنيا فقد رأى الأنبياء الملائكة مثلاً، والاصطلاح القرآنيّ البديل لمصطلح عالم المعقولات والمحسوسات هو "الغيب والشهادة"، فما غاب عن الحواس في العالم الخارجيّ هو غيبيّ، وما وصلت إليه هو مشهود، وهذا هو الكون بشقيه الآفاق والأنفس.

والعلاقة بين المجالين بارزة من حيث كثرة جمعهما في القرآن الكريم كما في ﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾﴾ [الكهف: ٥١]، ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ [الروم: ٨]، ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الذاريات: ٢٠ - ٢١]، والأمثلة كثيرة، فمجال الإدارك؛ أي المصدر الذي تستقى منه الآيات، والعلامات والمعارف والمعلومات، هو الكون

بصوره الآفاقيّة والنفسيّة. والعلم في أحد الأقوال في اشتقاقاته أنّه من العلامة؛ وهي أحد معاني "آية"، التي يبيّنها الله تعالىٰ لعباده كي يعقلوا ويتفكّروا ليؤمنوا بأنّه الله لا إله إلا هو. وقد وردت الآية في القرآن علىٰ معنيين لا ثالث لهما، الآيات المتلوّة وهي كلام الله وقرآنه ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾ [البقرة: ١٠٦]، والآيات المخلوقة؛ وهي الكون بما فيه، وهي الأكثر، ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ﴾ [البقرة: ١١٨]. ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [النحل: ٦٥]. فالأمر الذي يتعقّل ويتفكّر ويسمع ويتذكر ويؤمن به هو الآيات؛ التي كان تفصيلها سابق للسياق؛ وكلّها من الكون بقسميه الآفاقيّ والنفسيّ.

ولمّا كانت السنن الإلهية هي فعل الله تعالىٰ في الكون والإنسان والحياة، فإنّ القرآن تناولها بإفاضة، وتحدّث عن الحياة والموت وحكمة الله في ذلك، وتحدّث عن سنّته في خلق الإنسان ومعاشه، وغير ذلك كثير من مظاهر سنن الله في الكون والإنسان والحياة. قال تعالىٰ: ﴿سَأُو۟رِيكُمْ ءَايَـٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾﴾ [الأنبياء: ٣٧]؛ هي الآيات المعجزة التي تطالعنا في صفحة الكون والحياة، والله وعد بأنّه سيبيّن لنا آيات وهي مستقبليّة بالنسبة إلىٰ كلّ من لم يرها بعد، وهي علىٰ نوعين: أسرار الآفاق، وأسرار الإنسان روحاً وجسداً، فالحقّ المبيّن بالآيات الآفاقيّة والنفسيّة هو صدق القرآن وما حوىٰ.

وعمليّة التفكر حركية حيث تقتضي التنقل بين المصدر والقوّة المدركة؛ لاستنباط العلم، وذاك شرط قيام العمران والتمكين في الأرض، فأسماؤها تدلّ علىٰ أصناف أربعة في النظام المعرفيّ في القرآن، وهي: الظواهر الإنسانيّة

النفسيّة والاجتماعيّة، والظواهر الكونية الآفاقية، والأقوام والأمم، والبهائم والحشرات والنبات.

٢- الآفاق:

الآفاق آحاده أفق، وهو الناحية من نواحي الأرض، وكذلك آفاق السماء نواحيها وأطرافها. وفي تفسيرها قولان: الأول: أنّ المراد الآيات الفلكيّة والكوكبيّة، وآيات الليل والنهار، وآيات الأضواء والإظلال والظلمات، وعالم العناصر الأربعة، والمواليد الثلاثة، وقد أكثر الله منها في القرآن، والله يطلعهم على تلك العجائب زماناً بعد زمان. والقول الثاني: إنّها الفتوحات. وفي فتح القدير: قال ابن زيد ﴿فِي ٱلْآفَاقِ﴾ [فصلت: ٥٣] آيات السماء.. وقال قتادة والضحاك: "وقائع الله في الأمم.. وقال عطاء: ﴿فِي ٱلْآفَاقِ﴾ يعني أقطار السموات والأرض، من الشمس والقمر والنجوم، والليل والنهار، والرياح والأمطار، والرعد والبرق والصواعق، والنبات والأشجار، والجبال والبحار وغير ذلك. وقال ابن عباس: ﴿فِي ٱلْآفَاقِ﴾ منازل الأمم الخالية، وقال قتادة: وقائع الله في الأمم الخالية.

فالاستدلال على الخالق بخلق الإنسان هي طريقة عقليّة صحيحة وشرعية دلّ القرآن عليها، وهدى الناس إليها وبينها وأرشد إليها، فإنّ نفس كون الإنسان حادثاً بعد أن لم يكن، ومولوداً من نطفة، هذا لم يعلم بمجرد خبر الرسول؛ بل يعلمه الناس، سواء أخبر به أم لم يخبر، والآيات نوعان في دلالة الأنفس ودلالة الآفاق.

فالآيات علامات يحصل منها بيان في القلب؛ أي هي حقائق الأشياء، وحصول البيان في النفس المدركة (العقل)؛ هو حصولٌ للعلم، فالآية دليل على مدلول هو الكون، والمدلول هو مصدر الدليل، فهو مصدر حصول البيان في العقل؛ أي حصول العلم، فالمتأمّل في آيات الآفاق في القرآن؛ يرى فيها الختم ببيان الحكمة من الخلق، والتنبيه لتلك المخلوقات، وتارّة أخرى لا تذكر الحكمة من ذلك، وذاك لأمور منها: التشويق لمتابعة القراءة، ومنها قياس الحكم على غيره، ومنها إثارة الذهن لاكتشاف الحكمة والربط بين الأحداث ومسبّباتها، ومنها للابتلاء والاختبار في قوّة التمييز واليقين والإيمان، فمن ينيب يكون أكثر إبصاراً للعلل والحكم. قال تعالى: ﴿يُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ﴾ [الرعد: ٢]، وفيه قولان: الأول: أنّه تعالى بين الآيات الدالّة على إلهيته وعلمه وحكمته. والثاني: أنّ الدلائل الدالة على وجود الصانع قسمان: أحدهما: الموجودات الباقية الدائمة كالأفلاك والشمس والقمر والكواكب.. والثاني: الموجودات الحادثة الصغيرة، وهي الموت بعد الحياة، والفقر بعد الغنى، والهرم بعد الصحة، وكون الأحمق في أهنأ العيش؛ والعاقل الذكي في أشدّ الأحوال.. فيفّصل الآيات إشارة إلى أنّه يحدث بعضها عقيب بعض على سبيل التمييز والتفضيل. ثم قال بعدها في ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝٣﴾ [الرعد: ٣].

والكون مصدر لعلاقتنا بربوبيّة الله، والوحي مصدر علاقتنا بألوهيّته؛ أي أنّنا نستدلّ بالكون على وجود الخالق القادر الربّ، ونستدلّ بالوحي على كيفيّة وصحة عبادتنا له، فالكون مصدر علم لتوحيد أفعال الربّ، والوحي مصدر علم لتوحيد أفعالنا نحو الإله. وإن العلم الحاصل من ميدان الآفاق،

هو معلومات ومعارف متناقلة؛ عبر الألسن أو الكتب أو الصور اصطلح عليها بالأخبار، ولا تدرك إلا بالسمع والبصر. فاتصال الإنسان بالآفاق لا يكون إلا بالحواس، وهي الناقلة لما في العالم الخارجيّ إلى العقل؛ العالم الداخليّ لكل فرد، وما تنقله الحواس أمران: إحساس وإخبار. فالإحساس هو المعلومات التي يباشرها كل فرد بنفسه نحو الأشياء؛ لإدراك ماهيتها أو حقائقها أو صورها، بعدها تخزّن هذه داخل الحافظة؛ بعد أن تشكّل في الذهن بعض القوانين والمبادئ والبدهيّات الضروريّة والمسلمات.

فالنتيجة أن الطرق طريقان لا ثلاثاً، والمصادر مصدر واحد من عالم الشهادة أصليّ، ومصدر تابع، وهو نوعان: داخليّ (عقل كل فرد)، وخارجيّ (عقول كل الأفراد)، والنوعان تراكم معرفيّ عن المصدر الأصليّ (الكون).

٣- الأنفس:

جاء ذكرها بعد الحديث عن الآفاق، وهي جزء من الكون بكونها مصدراً للمعرفة، فعالم الأنفس يمثل الشق الآخر من عالم الشهادة؛ بوصفه يتناول الإنسان روحاً وجسداً، بل لا تطلق النفس لغةً إلا إذا خالطت الروح الجسد، وإن انفصلت سمّيت روحاً. وجُعِلت النفس هنا مصدراً للعلم، قال تعالى: ﴿فِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾؛ أي إنّ آياته وأدلّته على صدق القرآن، وأنّه مصدر هداية؛ ستكون موجودة في الأنفس، والأنفس هي نفسها دليل ومصدر هداية، قال عنها: "حتى يتبيّن لهم"؛ فالبيان سيحصل في الأنفس، فيحتمل -والله أعلم- أن يكون حصول البيان في النفوس-أي حصول العلم- هو نفسه من آيات الله تعالى في الأنفس، بل هو أعظم؛ لوجهين: الأول أنّ وقوع

العلم في النفس آية وحجة على من علم، فوَعْد الله بالبيان أجلى؛ بحصول " ملكة العلم " داخل النفس، والثاني أنّ في قوله تعالى "في الآفاق" أي ما تحوي؛ ومما تحويه آثار البشر وعمرانهم وهم بذواتهم، فتصبح الأنفس (البشر) من الآفاق كائنات حيّة نامية؛ وأفعالاً مبدعة للخير ومبتدعة للش، وقد وردت النفس في القرآن، ونسب لها كل أفعال الإنسان وطباعه وأحواله وإدراكاته، غير أنّ بحثنا ليس في النفس وما فيها؛ إنّما في كونها مصدراً للعلم، لذا سنقتصر على إيراد الآيات التي أحيل العقل فيه للتأمّل في النفس تصريحاً، وإن كان كل ذكر للنفس فإنّما تذكير وتنبيه لما فيها من آيات وقدرات، من ذلك ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾﴾ [القيامة: ١٤]. وقال: ﴿خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا﴾ [الروم: ٢١]. وقال: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ فِىٓ أَنفُسِهِم﴾ [الروم: ٨]؛ التفكير لم يرد إلا في الكون وآياته؛ من سموات وأراضين وما فيهما، فكان أحد مصادر التفكر التي يحول فيها الإدراك (الأنفس)، والآخر (الآفاق). فأحيل الفكر في القرآن كلّه إلى المخلوقات من آفاق وأنفس، وأحياناً الوحي. ولم يحل إلى غير هذا قط، فكان لزاماً أنّها مصادر الفكر؛ أي هي التي يتفكّر فيها ويفرك مسائلها ليعقلها.

كما نبّه إلى النظر إلى خلق الإنسان، وأطوار تطوره، والنعم الممنوحة له، وقواه التي استطاع بها السير والإعمار في الأرض، وذكر أحواله وسلوكاته؛ من إيمان وكفر وجحود وإقرار وجدال، مثل قوله تعالى: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾﴾ [مريم: ٦٧]. وقال: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾﴾ [يس: ٧٧].

وورد لفظ الأنفس وحدهُ مائتين وخمس وتسعين مرة بصيغه من غير المواضع التي يتكلم فيها عن خلق الإنسان وصفاتهم وعددها ثلاثاً وثمانين مرة، وكذلك ما قص الله تعالىٰ عن أحوال الأمم، وإنزال البركات والعقوبات عليهم، فتاريخ الإنسان هو أفعاله وأفكاره؛ وما قدم من حضارة وعمران وعلوم. فهنا تكون أحوال الأنفس وأفعالها وعلومها مصدراً للمعرفة خاضعاً لعمليّة الإدراك. ومن تتبعنا للمصادر حصل أنّ المصدر يفارق الميدان، فالمصدر هو ما يستقىٰ منه العلم، أمّا الميدان فهو مجال العلم؛ أي مجال الحواس والعقل الذي يمكنها العمل فيه. وأكثر توضيحاً، المصدر مصدران: خالق ومخلوق، والميدان ميدانان: ميدان الشهادة، وميدان الغيب، والميدان هنا هو (المجال) القابل للإدراك. فالمخلوق مصدر من نوعين آفاق وأنفس، والأنفس علوم وأفعال. ويشمل المخلوق ميدان الشهادة والغيب، فما تصل إليه الحواس هو ميدان الشهادة، وهو الموجود في العالم الخارجيّ المحسوس، وما غاب عن الحواس هو ميدان الغيب؛ فلا تصل إليه الحواس ولكنّه محسوس، وما لا تصل الحواس إلىٰ (أصله)؛ لا يمكن للعقل إدراكه لأنّها منفذه الوحيد للعلم والقياس والتعميم. وتصنيف المصادر هو تصنيف للعلوم، لأنّ العلوم تستقىٰ من مصادرها، ولها اعتبارات في تقسيمها، وأحد هذه الاعتبارات مصادرها أو طرائقها أو وسائلها. وأكثر التصانيف اشتهاراً واعترافاً من العلماء؛ هو تصنيفها إلىٰ علوم عقلية وعلوم نقلية: فالعلوم العقليّة: ما تقتضي بها غريزة العقل، ولا توجد بتقليد أو سماع. والعلوم النقلية أو الدينيّة أو الشرعيّة أو الوحييّة أو السمعيّة، وهي مأخوذة بطريق التقليد من الأنبياء، بتعلم الكتاب وفهم معانيها

بعد السماع. فيقينها بثبات اليقين في صدق نسبتها إلى الأصل؛ وهو الله تعالى، ثمّ تصبح مصدراً للمعرفة؛ أي أصلاً ومعياراً لعلم، وهو المستفاد منها، فالتقليد في نقلها؛ أمّا فهمها فهو يقسمها إلى عقليّة وضروريّة ومكتسبة.

فرجع كل ذلك إلى أنّ مصدر العلم هو الكون المخلوق، ومجاله وهو عالم الشهادة. فالعقل في أحد معانيه العلم بالأمور الدنيويّة والأخرويّة، والحقائق العقليّة، وهذه الأمور وراء المحسوسات ولا يشاركه فيها الحيوانات، بل العلوم الكليّة الضروريّة من خواصّ العقل، إذ يحكم الإنسان بأنّ الشخص الواحد لا يتصوّر أن يكون في مكانين في حالة واحدة، هذا حكم منه على كل شخص؛ ومعلوم أنّه لم يدرك بواسطة الحس إلا بعض الأشخاص، فحكمه على جميع الأشخاص زائد على ما أدركه بالحسّ، وإذا فهمت هذا في العلم الظاهر الضروريّ فهو في سائر النظريات أظهر.

وبعد، فإن النفس تنفعل وتتفاعل، وتعتمد النفس في هذه الحالة وفي جميع صورها على وظائف الجسم الحيّ ومن هذه الوظائف"؛ وظائف الحواس، فتدرك الحواس بالالتجاء إلى الوقائع المباشرة، ولكن لا مندوحة عن الدليل وإقامة البرهان.

ثالثاً: الله تعالى (الخالق) مصدراً للمعرفة في القرآن الكريم

الكون أهم المصادر التي يأخذ الإنسان المعارف منها؛ فيستدلّ منه وبه على خالقه؛ كي يُقرّ بربوبيّة خالق الكون، فيكون ذلك إلزاماً بألوهيّته سبحانه. فإن كان الكون مصدر الإقرار بالربوبيّة، فما مصدر الإلزام

بالألوهيّة؟ أي إذا آمن الناس بأنّ لهذا الكون خالقاً؛ من تفكّرهم في الكون ذاته، فأنّى لهم معرفة ما يريده ويرضاه الله منهم؟ ومعرفة ما لا يرضاه؟ وما هو مصدر الإلزام بالألوهيّة؟ أي إذا أقرّ الناس بأنّ الله هو الخالق الرازق القادر السيّد الملك الربّ لهذا الكون من تفكّرهم في الكون ذاته، فكيف يعلمون طريقة عبادة الله؟ وكيف يدركون ما يرضي ربهم وخالقهم عليهم؟ وما يُحِلّ غضبه وعقابه عليهم؛ ولا يرضاه منهم؟

لا بدّ من مصدر آخر يكون ممن تُوجّه له العبادة والتوحيد؛ وهو الله تعالى، ويُبلّغ الله هذا العلم بكلامه؛ وهو الوحي عبر ملائكته ورسله وأنبياءه، فلا تصل العقول إلى عالم الغيب، وعلى رأسه ذات الله تعالى بأسمائه وصفاته وأفعاله، فكان لا بدّ من واسطة إلى مصدر العلم (الله تعالى)؛ وهي الرسل من أنبياء وملائكة؛ لنقل ما هو غائب عن الحواس إلى مجال الشهادة، كيما تصل إليه فيدركه العقل بعد ذاك ويتدبّره. فإن النظر في آيات الله؛ والاستدلال بها على وجوده سبحانه، هو الذي جاء به القرآن وبينته الرسل، فيستدلّ الله في كتابه كثيراً بخلقه السموات والأرض، وبما يحدثه في العالم من السحاب والمطر، والنبات والحيوان، وحركة الكواكب، واختلاف الليل والنهار؛ باعتبارها آية عليه، وكل شيء له فيه آية تدلّ على أنّه الواحد.. وأبرز دليل على كون المخلوقات آية دالّة عليه هو افتقارها إليه.

١ - كيف نفهم أن الخالق مصدر المعرفة:

والمعرفة الإنسانيّة الحاصلة من المخلوقات قابلة للإدراك من كلّ العقول، مع تفاوت درجات الإدراك في ما حول الإنسان، "والتي يظهر فيها

انفعال الإنسان بما حوله في عالم الشهادة، وما لهذا العالم من تأثير في تشكيل المعرفة لدى الإنسان، والإنسان في هذين النوعين من المعرفة -الحسيّة والعقليّة- يتعامل مع الكون؛ مما هو داخل مجال حواسه وعقله، وكلّه ثقة بهذين الطريقين، بما رزقه الله تعالى من ضمان بأن جعلهما طريقين للمعرفة، وميّزه بالفكر حصيلة للفعل الإيجابيّ للحواس والعقل؛ في تعامله مع المحسوسات والمعقولات، وربما هيّأ له ميادين لهذا الفكر، ومن ثمّ فإنّ المعرفة لا تنحصر في معرفة عالم الشهادة؛ بما أوتي الإنسان فيها من طرائق للمعرفة من حسّ وعقل، وإنّما تمتدّ هذه المعرفة لتضم إلى عالم الغيب؛ والذي يطلبه العقل الإنساني ويسلّم بوجود، ولكنّ هذا العقل بما أوتي من فعاليّة من خلال طبيعته وتكوينه، ولا يستطيع من خلال تعامله في عالم الشهادة أن يقدم شيئاً تفصيلياً للمعرفة في عالم الغيب".

ولا بدّ للطريق إلى الغيب من مبدأ ومنتهى، ولا بدّ أن يكون مبدؤه غيبياً، ولا بدّ أن يكون منتهاه مشهوداً ليتمّ التواصل معه، فكان المبدأ ربانياً؛ وهو كلام الله تعالى -صفته الذاتيّة الثبوتيّة- يصل إلى المرسل إليه؛ عبر الملائكة (عالم الغيب)، وتأخذ الأنبياء عن الملائكة؛ بعد أن يصطفيها الله من بين البشر؛ بخاصّية الاتصال بعالم الغيب (النبوّة)، وترتقي حواس وعقول الأنبياء لذلك؛ وهم من (عالم الشهادة)، ثمّ ينقل الأنبياء تلك العلوم (الغيبيّة)، إلى عقول الناس عبر (السماع)؛ أي الحواس وهذا من (الشهادة). وكون الطريق هذا ثابتاً أصلاً يحتاج إلى أدلّة؛ وكون (الرسول) متّصلاً بعالم الغيب يحتاج إلى أدلّة؛ وكون (علم الرسول) (علماً غيبياً) متّصلاً بعالم الغيب

يحتاج إلى أدلّة، والعصمة من الخطأ؛ أي (اليقين) في هذا المصدر يحتاج إلى أدلّة؛ والأخذ من المصدر الثاني بعد الكون (المخلوق)، واستقاء العلم منه لا يكون إلا عبر كلام الله تعالى الذي يبيّن ويهدي ويمنح العلم اللازم لعباده، كي يحققوا الغاية من خلق (الكون).

والوحي قسمان: عام؛ وهو الكلام العام فيشمل الأنواع الثلاثة، وخاص وهو الإلقاء في الروع. فالعام "يقال للكلمة الإلهيّة التي تلقى إلى أنبيائه وأوليائه وذلك أضرب"، والخاص أحد أضرب العام: إلقاء في الروع، كقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ [الشورى: ٥١]؛ " ويكون على أحد هذه الأوجه: إمّا أن يكلّمه الله وحياً بأن يلقي الوحي في قلبه من غير إرسال ملك ولا مخاطبته منه. أو أن يكلّمه لكن ﴿مِن وَرَآئِ حِجَابٍ﴾ أو يكلّمه الله بواسطة الرسول الملكيّ، كجبريل أو غيره من الملائكة ﴿فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ﴾ أي بإذن ربه لا بمجرد هواه." بعد الآية قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢] وهو هذا القرآن.

٢- مفهوم الوحي:

أ- المعنى اللغويّ للوحي:

الوحي يدلّ على معان منها: الإشارة والإيماء والكتابة والسرعة والصوت، والإلقاء في الروع إلهاماً؛ وبسرعة وبشدّة، ليبقى أثره في النفس. وأصله: إعلام في خفاء، وله صور عدّة، وتتمّ كلّها في خفاء، فهو الإشارة السريعة. ولتضمنه السرعة قيل أمرٌ وحيٌ للكلام على سبيل الرمز.

ب- المعنى الاصطلاحيّ للوحي:

الوحي في الاصطلاح معناه أن يعلم الله تعالى من اصطفاه من عباده كل ما أراد إطلاعه عليه من ألوان الهداية والعلم، بطريقة خفيّة غير معتادة للبشر، ويكون على أنواع شتى، فمنه: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ [النساء: ١٦٤]، ومنه ما يكون إلهاماً يقذفه الله في قلب مصطفاه على وجهٍ من العلم الضروريّ لا يستطيع له دفعاً، ولا يجد فيه شكاً، ومنه ما يكون مناماً صادقاً كفلق الصبح في تبلّجه وسطوعه، ومنه ما يكون بواسطة أمين الوحي جبريل عليه السلام، وهو من أشهر أنواع الوحي وأكثرها، ووحي القرآن كلّه من هذا القبيل، وهو المصطلح عليه بالوحي الجليّ.

ت- المعنى الشرعيّ (القرآنيّ):

جاء لفظ الوحي وما تصرف منه في القرآن في ثمانية وسبعين موضعاً. ونجد بالاستقراء استعمال لفظ الوحي دلالة على الإعلام الخفيّ السريع. والوحي كاسم معناه الكتاب، ومصدره "وحى"، وفعل " أوحى" مصدر "إيحاء"، غير أنّ للوحي وجوهاً دلاليّة؛ يتطلّبها السياق في القرآن على نحو مخصوص. فالنبوّة المأخوذة من النبأ؛ بمعنى الخبر، وهو وصول خبر الله تعالى بطريق الوحي؛ إلى من اختاره من عباده لتلقي ذلك. وللوحي سبعة أوجه، وهي: الإرسال: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ﴾ [النساء: ١٦٣]، والإشارة: ﴿فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ أَن سَبِّحُواْ بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ﴿١١﴾﴾ [مريم: ١١]، والإلهام: ﴿وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ﴾ [النحل: ٦٨]، ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ﴾ [القصص: ٧]، والأمر: ﴿يَوۡمَئِذٖ تُحَدِّثُ أَخۡبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ

رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾﴾ [الزلزلة: ٤، ٥]. والكلام المباشر ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [النجم: ١٠]. والإعلام: بالإلقاء في الروع؛ وهو خاص بالأنبياء ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ [الشورى: ٥١]. والوسوسة: ﴿يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢]. فمن معاني الوحي العامة أنّه الإعلام الخفيّ السريع؛ الخاصّ بمن يوجّه إليه، بحيث يخفى عن غيره، ومنه الإلهام الغريزيّ كالوحي إلى النحل، وإلهام الخواطر بما يلقيه الله في روع الإنسان السليم الفطرة؛ كالوحي إلى أم موسى، ومنه وحي الناس لبعضهم البعض، ووحي الشياطين ويسمّى بالوسوسة. والرؤيا والحدس والإلهام والتحديث والفراسة كلها صور للوحي، تتفاوت حسب وقوعها، غير أنّ النبوّة خاصة بالوحي الخاصّ بأضربه الثلاثة. وقد وردت كلمة "الوحي" في ستة مواضع، كلّها في العهد المكي، وهذا يبيّن أثر هذه القضيّة، واعتبارها أساس ما يدور عليه العهد المكيّ، من صراع في قضايا يتميّز بها هذا الدين الجديد..

٣- ضرورة الوحي:

إذا قلنا بضرورة الوحي، فيعني ضرورة وجود صلة بين الشهادة والغيب، وضرورة معرفتنا لكلام الخالق، وذاك متمثّل في النبوّة والرسالة والوحي والشرع والكتب. فالوحي قضيّة رئيسة لتصنيف الناس إلى مسلم ومؤمن، وكافر ومشرك ومنافق. وما يتعلّق بهذا التصنيف من معاملات، وتعامل بين الناس فيما بينهم وبين كل صنف وبين خالقهم. وهو قضيّة مهمّة لتوجيه المنهج، ومعرفة الطريق الغيبيّ.

والخلاف بين المشركين في كلّ العصور؛ لم يكن في مَن الخالق، أو عظمته وصفاته، بل في ضرورة اتخاذ وحيه مصدراً للعلم، ومنهاجاً للحياة، بالتحاكم إليه في كلّ نواحي الحياة؛ صغيرها وكبيرها؛ أي هل هذا مصدر للحق أم معه غيره، ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [يونس: ٣٤]؛ فحصل في جميع العصور أنّ الإنسان اتخذ مصدرين للعلم والمعرفة؛ الأول ماديّ (الكون)؛ والثاني روحانيّ له صور عدّة؛ من روحانيّات الصالحين إلى روحانيّة الكواكب، واتخذ للروحانيّ الغيبي أشكالاً، وهي رموز مشهودة كي يكون المصدر (محسوساً) من أصنام وأوثان وأرباب وآلهة، وهذا دليل تاريخيّ وفطريّ، بأنّه لم يخلُ عصر لإنسان من اتخاذ آلهة بشتى أنواع المعبودات، وهذا لحاجته النفسية الفطرية، وهي غريزة فيه، يحتاج إلى إشباعها وتلبية حاجاتها، ولو في أبسط صورها بأن يعبد هواه؛ ويتّخذه إلهاً هو في ذاته، وهؤلاء هم من جعلوا العقول مستغنية عن علوم الوحي ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ۖ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾﴾ [الفرقان: ٤٣].

وقد كان الصراع ومحلّ النزاع عبر العصور في الحاجة إلى الوحي؛ بكونه مصدراً للعلم (الهداية إلى الحقّ)، وكونه الوحيد الهادي إلى الحقّ؛ أي هو مصدر الغيب وحده، ثمّ انتقل الخلاف إلى إثبات عصمة النبي، وربانيّة القرآن؛ أي أنّه وحي من الله تعالى إلى نبيه عليه الصلاة والسلام، وهذه مرحلة بعد الاعتراف بضرورة الوحي؛ بكونه مصدراً وحيداً للمعرفة والعلم ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ

وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ [يونس: ٣٧]. فإن أقرّ بذلك؛ كان لا بدّ أن يقام دليل على انفراد الخالق بكونه مصدراً لذلك العلم وحده، والدليل مبني على دليل الافتقار له أصلاً؛ في الخلق لأدوات المعرفة وقواها؛ وخلق مصدر المعرفة المادي (الكون)، مع يقين الإنسان أنّ قدراته لا تصل إلى المصدر (الخالق)؛ يلزمه بالإقرار بطريق آخر غير الحواس؛ لكنّه قابل للحسّ؛ وهو الوحي، ولا يدرك الوحي إلا بالنبوّة، وهي ما يمكن للحواس أن تصل إليه، فالنبوّة قوّة إدراكيّة تمثّل طوراً فوق العقل، فهي واسطة بين ما هو إلهيّ وما هو بشريّ، وهي الناقلة للكلام الإلهيّ والعلم الربانيّ من مصدره (الخالق) إلى القوّة الإدراكيّة البشريّة (المخلوقة).

واعتماد النبوّة طريقاً للمصدر الربانيّ، هو كون الطريق الأول من الحواس لا يمكنه الوصول إلى ذلك المصدر إلا بواسطة وهي (النبوّة)، وقد كان الاستدلال على صحّة ويقينيّة المصدر الربانيّ، ووجود الوحي والنبوّة في القرآن دائماً من ميدان الشهادة، ومجاليّ الآفاق والأنفس، وبدهيّ ومسلّم أنّ العقل لا يملك نواقل يتّصل بها بعالم الغيب، ولا هو قادر في الخوض في ذلك المجال، فلزمه نواقل غير الحواس، لكن تصل إليها الحواس، وهي (الخبر، والسماع، والسمع، والنقل). "فالنبوّة إحدى الضروريّات التي تؤيّدها العقول، ويثبتها الواقع الاستقرائيّ للمجتمعات الإنسانيّة، وذلك من خلال إجماع البشريّة على عظمة هؤلاء الأنبياء، وما تميّزت به دعوتهم من التوحيد، وتوضيح العلاقة بين الخالق والمخلوق."

من هنا فإن الغاية من الوحي والنبوّة في نصوص كثيرة، إمّا مفصّلة أو مجملة: وهي البشارة والنذارة ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا﴾ [سبأ: ٢٨]. وإخراج الناس من ظلمات الجهل والغواية والضلال إلى نور الهداية ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ﴾ [إبراهيم: ١]. والفصل في الخلاف، ﴿وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٦٤﴾ [النحل: ٦٤]؛ وتأتي أهمية الوحي بوجه عام لبيان علاقة العباد بربّهم، وكيف ويختصّونه بالعبادة والطاعة كما يريد، وكيف يتعاملون فيما بينهم ومع غيرهم.

٤- طريق الوحي:

مما هو معلوم أن الوحي لا ينزل إلا على نبي، فالنبوّة هي الطريق إلى معرفة الوحي الصادر عن الله تعالى، وذلك بأن يصطفي الله من يشاء من عباده نبياً ينزّل إليه وحيه ويبلّغه كلامه، ليكون واسطة بينه وبين خلقه في التبليغ. وهي ربانيّة واختيار إلهيّ. قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأۡتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ [غافر: ٧٨]، فثبوت النبوّة قائم بدليل التواتر في كل العصور من لدن آدم عليه السلام، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٣﴾ [آل عمران: ٣٣]؛ وقد خصّ الله تعالى الأنبياء بمعجزات موجّهة لهم هم أولاً؛ كي يوقنوا أنّهم أنبياء، وأنّ الوحي ينزّل عليهم دون غيرهم. فإذا أيقنوا ذلك جهروا بنبوّتهم وبلّغوا ما أمروا، وأعلنوا أنّ لهم اتصالاً بالوحي. فتكون المعجزات دليلاً للنبيّ، ثمّ دليلاً لغيره، بأنّ ما يجد في نفسه من علم إنّما هو وحي ألقي إليه، قال تعالى عن قصة موسى: ﴿وَمَا تِلۡكَ

بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَـٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾﴾ [طه: ١٧-٢٣]؛ فالآيات المعجزات كانت موجّهة له هو ﴿لِنُرِيَكَ﴾؛ كي يتيقن من أنّه نبيّ، وأنّ الكلام الذي يسمعه هو كلام الله تعالىٰ. ثمّ قال عنه: ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ٥٣]؛ وهذا حصول العلم الضروريّ اليقينيّ؛ الذي لا يمكن للبشر الحصول عليه بقدراتهم، من اطلاع الغيب الماضي من غير دراسة، ولا خبر متواتر من الناس، ولا شهود لذلك الماضي.

ويمتاز النبيّ مع كونه بشراً، أنّه رجل عاقل مصطفىٰ مختار من الله تعالىٰ لإبلاغ الوحي، يتكلّم بلغة قومه، ويثبت نبوّته بمعجزات يقرّون بأنّها ليست من فعل البشر، لتكون دليلاً علىٰ نبوّته وعصمته، فهنا يثبت للطريق (النبيّ) المصدريّة، وعصمته (اليقين)، وصلته بالمصدر (الوحي)، وقدراته الإدراكيّة الخاصّة، التي هي فوق طور عقول البشر العاديّة (النبوّة).

والناس منقسمون بعد عرض النبي لما معه من الوحي وإعلانه بنبوّته، فمنهم من سمع بوجود الأنبياء وتواترهم؛ ومنهم من لم يسمع ولا يؤمن بوجود النبوّة، فهو بحاجة لدليلين علىٰ مرتبتين: الأولىٰ: إثبات إمكان النبوّة، ونزول الوحي، وضرورته وأهميّته. والثانية: إثبات أنّه نبيّ مبلّغ بالوحي من مصدره. وهذان القسمان أصناف؛ فمنهم المؤمن والكافر، والكافر منهم أهل الكتاب والمشرك والملحد والمنافق. ويُرسل النبي بآيتين؛ متلوة ومخلوقة،

فالأولىٰ هي الوحي والكتاب والحكمة والفرقان والسلطان المبين، والثانية هي خوارق من إحياء الموتىٰ، وشفاء من لا يبرأ أصل، وعلامات كثيرة لا يقدر عليها غيرهم لإذن الله تعالىٰ لهم وحدهم، والاصطلاح علىٰ الآيات باسم "المعجزات".

٥- كيفية الوحي:

لا تعلم كيفيّة الوحي إلا بالنص الثابت عمّن أوحي إليه، وقد ورد لفظ الوحي ثماني وسبعين مرة؛ بتصاريفه في القرآن الكريم، ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل: ٥]، وعبّر عنه بالكتاب، والذكر، والفرقان، وأسماء الكتب، والآيات، والسور. وذكرت كيفيّات الوحي في القرآن الكريم مفصّلة في آيات عدّة، وذكرت مجتمعة في آية واحدة وهي قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾ [الشورىٰ: ٥١] وقال: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ﴾ [النساء: ١٦٣]، فالوحي قسيم التكليم العام، وفي قوله: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]؛ أمّا كيفيّات الوحي، فهي: الكيفيّة الأولىٰ: الوحي الخاصّ، وهو إعلام في خفاء بإلقاء الكلام في الروح؛ أي يقذف العلم في قلب النبيّ؛ فيجده عن غير جهد، ولا نشاط فكريّ، بل يكون حصولاً ضروريّاً، ويشعر بأنّه طارىء بعد أن لم يكن، فيكون بيِّنةً له علىٰ أنّه يتلّقىٰ من مصدر خارجيّ عن نفسه؛ وعن قدراته العقليّة. والكيفيّة الثانية: أن يكلّم الله تعالىٰ النبيّ من وراء حجاب مباشرة من غير وساطة، ويسمع النبيّ كلام الله تعالىٰ من غير أن يراه، قال تعالىٰ لموسىٰ: ﴿إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي

وَبِكَلَٰمِي﴾ [الأعراف: ١٤٤] والكيفيّة الثالثة: أو يرسل رسولاً كجبريل عليه السلام، فيوحى الملك إلى الرسول من البشر بأمر الله، وهذه الصورة هي غالب ما أنزل من القرآن على النبيّ ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ [النجم: ٤، ٥].

٦- مجال النبوّة:

يختلف مجال النبوة عن مجال الشهادة، فالحواس تصل إلى ما هو في مجالها، ولا تصل إلى مجال الغيب، فالإيحاء غيبيّ وما يوحى به "الوحي" هو مشهود مسموع ومقروء، والوحي وسط بين مجال الغيب وما فيه؛ وبين مجال الشهادة، غير أنّ الموحى به ليس كل ما في مجال الغيب، بل جزء منه، فهو من عالم الغيب، ومتوجّه إلى عالم الشهادة، وغايته هداية الإنسان في الأرض لعبوديّة الله تعالى، ومجال المعرفة التي ينزل بها الوحي، إنّما هو نوعها ومجالها وعالم الشهادة وعالم الغيب. فالعقيدة والعبادة ليستا من نتاج العقول البشريّة، بل لا بدّ لها من نصوص وحي تبيّن أنّ هذا واجب وجائز وهذا ليس بجائز. ومجال الوحي يشمل العلاقات الاجتماعيّة والأسريّة بين الأفراد والمجتمعات، وعلاقة الراعي بالرعيّة، والدول مع بعضها، والشعوب مع غيرها.

فالوحي جاء ليشمل كلّ نواحي مجال الشهادة، فكان التكامل بين ما هو غيبيّ وما هو مشهود. فمن الغيب مجال أذن به الله تعالى؛ فأطلع عليه ملائكته فقط، وآخر أطلع عليه ملائكته ورسله فقط، وآخر اطّلع عليه الناس عبر الرسل، ومجال هو مفاتيح الغيب اختصّ بها تعالى ولا يطّلع عليها أحد. والوحي هو جزء من مجال الغيب في المصدر الإلهيّ، والكون بوصفه

مصدراً للمعرفة مجالاته مشهودة ومغيبة، ومجالات الغيب فيه نسبيّة وإضافيّة. أمّا الخالق بكونه مصدراً للمعرفة فمن مجالاته ما هو مشهود لملائكته، ومنها ما هو مشهود لرسله، ومنها ما يصل بالخبر للناس، والباقي إمّا غيب نسبيّ يطّلع عليه من يشاء وقت ما شاء، أو غيب مطلق لا يطّلع عليه أحد إلا هو. وروعي هذا التقسيم في الدنيا والآخرة، فكان الأولىٰ تقسيم المصادر إلىٰ مصدر مخلوق ومصدر خالق. ومن هنا ينبغي أن يعلم أنّ الوحي هو (موضوع مدرك)؛ أي يفهم ويدرس ويتدبّر فيه؛ ليستنبط منه، وأنّ أجل الأدلّة العقليّة وأكملها وأفضلها مأخوذ عن الرسول، فإنّ من الناس من يذهل عن هذا ويقدح في الدلائل العقليّة مطلقاً؛ لأنّه صار في ذهنه أنّها هي الكلام المبتدع.

٧- خصائص الوحي المعرفيّة

أ- ربانيّة المصدر:

قال تعالىٰ: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الأحقاف: ٩]، فالعلم الموحىٰ به محفوظ من التحريف والتبديل، مؤتمن الطريق ليصل إلىٰ الناس، وقد تكفّل الله تعالىٰ بعصمة رسله، والنص الموحىٰ مقدس، وهذا يعطي التأكيد علىٰ ربانيّة المصدر، ويكسّبه مركز الثقة ومحور اليقين؛ فيكون معياراً لغيره في الخطأ والصواب، والكذب والصدق، والحقّ والباطل، ولا تلغي هذه المصدريّة الفكر البشريّ، بل تكسبه ثقة ويقيناً أكثر في وضع معيار لتقويم أفكاره، وعقائده وما أخذه عن عالم الشهادة، وتمنحه دور الفهم المعلم المأخوذ من

المصدر الربانيّ وجعله قاعدة للتحاكم، لأنه يتلّقى موازينه ومقرّراته من هذا التصوّر ذاته، فهو الميزان الذي يرجع إليه بكافة ما يعني له من قيم وتصوّرات في مجرى حياته الواقعيّة.

ب- المجال الغيبيّ:

هناك جوانب لا يدركها العقل، ولا تصل إليها الحواس ويختصّ بنقلها الوحي، كالذات الإلهيّة وأسمائها وصفاتها وأفعالها ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، والمشيئة الإلهيّة ﴿كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٤٠]، ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩]، ففي الآية إرشاد إلى توجيه الطاقة الفكريّة إلى المجالات القابلة للإدراك، كي تحقق العمارة والخلافة، والتمكين في الأرض، وتبتعد عمّا لا طاقة لها به، ولا طائل من وراء الخوض فيه، وفي هذا توفير للجهد وعدم إهدار للوقت في بحوث لا نهائية.

ت- الكمال والخلود:

المعرفة في الإسلام شاملة لكلّ ما اختلف فيه الذين أنزل عليهم الكتاب، فنزل الوحي بالحقّ الكامل ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ۗ﴾ [البقرة: ١٧٦]، هداية للناس ﴿هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ﴾ [الجاثية: ٢٠]؛ ولا يكون الجواب عن هذا كاملاً إلا في الوحي ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]. وهداية الوحي خالدة، وشاملة لكلّ زمان ومكان؛ لأنّه من عند من يعلم ويحيط بكلّ شيء مكاناً وزماناً ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤] فهي شاملة لحقائق الألوهيّة والربوبيّة، والكون المخلوق،

ولحقائق الإنسان... وهي شاملة للكينونة الإنسانيّة بكلّ ما فيها، ولما وراء هذه الكينونة الإنسانيّة، وشاملة كذلك لمبدأ خلقه ومنتهاه، وشاملة لتفسير الوجود والمعرفة والقيم.

ث- التوازن والثبات:

العلم المتلقىٰ من الوحي صادر عن الله تعالىٰ في أصله، لذاك هو منزّه عن التأثّر بالعوارض، فأصوله ثابتة تساير المتغيّرات، وهذا الثبات يكسبه التوازن في إصدار الأحكام، والمصدريّة لليقين والحقّ؛ قال تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [المائدة: ٤٨] فهو معيار ثابت غير مضطرب ولا متغيّر، ولا يتقلّب ولا يرجع إلىٰ أهواء الناس؛ لأنّها لا قرار لها، وما لا مستقر له لا يُقَعد عليه. غير أنّ الأصول وهي العقائد ثابتة، لكن ما بعد نزول القرآن فكلّها أمّة واحدة تشملها شريعة وعقيدة واحدة؛ قال تعالىٰ: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ [الشورىٰ: ١٣].

ج- العمليّة والإيجابيّة:

يزوّد الوحي الإنسان بمعرفة موضوعيّة ذات حقائق بالوجود وصور الخلافة فيه والسير في الأرض، وكلّ علم انتفىٰ عنه العمل فهو مذموم في الوحي، فَسُوِّيَ بين وجود وسائل المعرفة وعدمها حال لم يبادر صاحبها إلىٰ

العمل بمقتضىٰ العلم الحاصل معه، قال تعالىٰ عمّن تركوا العمل بما علموا ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك: ١٠]؛ فنفيهم للتعقّل والسماع هو نفي للاستجابة لمقتضىٰ العلم الحاصل من الوحي. ويرشد الوحي إلىٰ الكون بوصفه مصدراً للمعرفة، ويجعله محور استخلافٍ الوحي منهاجه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣]. فالمنهج الربانيّ يرفع الإنسان من حال الترف الفكريّ إلىٰ العمل الإيجابيّ القلبيّ، ليتحقّق التوازن والشموليّة المعرفيّة الإدراكيّة للإنسان، لأنّها ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ [الروم: ٣٠]؛ ومخالفة فطرة الله هي علّة كلّ اضطراب فكريّ أو نفسيّ أو عمليّ.

حـ- خصوصيّة الطريق:

فالوحي علم لآحاد الناس الذين اصطفاهم الله تعالىٰ وعصمهم وهيّأهم لحمل الرسالة، وليست للعامّة، والخصوصيّة هنا في الطريق والموضوع المدرك، أمّا الخطاب فهو للناس كافة، فهم لا يصلون إلىٰ مصدر الوحي، ولا ترتقي عقولهم إلىٰ إدراكه عن الملائكة، أو عن الله تعالىٰ لعلوه، لكن تصل إلىٰ الخطاب النبويّ؛ فتأخذ العقول العلم الموحىٰ به من سماع كلام الأنبياء؛ فالإيحاء خاصّ، والنبوّة خاصّة والتكليف عام ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦، ٢٧].

خـ- خصوصيّة الغاية:

القرآن الكريم ذكر مفهومين يوضحان أنّ الغاية الرئيسة: هي معرفة الله والتقرب إليه، ثم إقامة العدل والقسط في المجتمع البشري. فالوحي

أنزل ليُعَرف بالمصدر الإلهيّ، ويعرف بطرائق إقامة العدل، والقسط في كل شيء، ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥].